

## الوسائل العملية لتحقيق الفناء في الإسلام و البوذية

### The Path to attain *al-Fana'* in Islam and Buddhism

Masitoh Ahmad (Corresponding author)  
Department of Usuluddin and Comparative Religion  
Kulliyah of IRKHS, International Islamic University Malaysia  
Jalan Gombak, 53100 Kuala Lumpur  
Tel: +60123337008 E-mail: a.masitoh@iium.edu.my

Jamil Hashim  
Kolej Universiti Islam Sultan Azlan Shah, Bukit Chandan,  
33000 Bandar Diraja Kuala Kangsar, Perak  
Tel: +60196990177 E-mail: rector@kiparak.edu.my

#### الملخص

الفناء هو الغاية القصوى للرياضة النفسية، وآخر مرحلة من مراحل الطريق للسالك الصوفي في سيره إلى الله، وكذلك النرفانا البوذي، الذي يتخذ من الفناء هدفاً أسمى في الحياة البوذية. فهذه المقالة تهدف إلى إبراز بعض وجوه التشابه وبيان نقاط الاختلاف في تعاليم صوفية الإسلام والبوذية، وفي هذا الجانب الروحي على

وجه الخصوص، حيث تدور هذه المقالة حول الوسائل العملية لتحقيق الفناء في تعاليم الديانتين (الإسلام والبوذية)، وتركز على بعض النظم الصوفية، وأساليبها في مجاهدة النفس ورياضتها، كونها سبيلاً لهم -أي الصوفية- لتحقيق الفناء في الذات الإلهية، وكذلك النظم الرهبانية البوذية، ووسائلها العملية لتحقيق النرفانا أو الفناء في النفس الكلية أو الروح المطلقة في البوذية.

**الكلمات الأساسية:** الصوفية؛ الروحانية؛ الفناء؛ النرفانا؛ البوذية.

#### Abstract

The objective of this article is to highlight points of convergence and dissimilarities in

the teachings of Buddhism and Sufism in the aspect of spirituality. It describes the path of a wayfarer in his spiritual journey to attain *fana'*, the highest achievement and the final state of spiritual experiences in the teachings of Islamic Mysticism, and also Buddhist paths to attain Nirwana, the ultimate goal of Buddhist life. The practices and the strict code of ethics in the process of self-purification or purification of the soul, in the spiritual path to attain the ultimate goal in the teachings of both Sufism and Buddhism are also discussed.

**Keywords:** Sufism; Spirituality; *Fana'*; Nirvana; Buddhism

#### تمهيد

الفناء في الفكر الصوفي قمة الطريق، وغاية التصوف، وثمرة مجاهدة النفس، ينالها السالك الصوفي في طريقه للبحث عن الحقيقة. والفناء حالة -كما وصفه ابن الفارض- تتجرد فيها النفس عن رغباتها، وميولها، وبواعثها، بحيث تتعطل إرادتها وتموت، فإذا ماتت الإرادة أصبحت النفس طوع الإرادة الإلهية.

(Nicholson, 1951) وهذه الحالة لا يصل إليها إلا من تحققت لديه المعرفة، وتخلص من جميع علائق المادة،

فيكون في حالة الغيبوبة الكاملة، فلا يشاهد سوى الحق سبحانه وتعالى، فيفنى فيه (Al-Sarraj, 1986). وهو حال قد وصفه ويليم جيمس بـ "النمط المنكفئ عن الذات" "Introvertive Mysticism"، بحيث يفقد فيه الصوفي "عبر عملية تطهيره شاقة فيها مكابدة ومعاناة معيشة، هي معراج روحي في درجات متصاعدة عند آباء الكنيسة وعند صوفية الحاسيديم اليهود "Devekut"، وعند صوفية الإسلام بالفناء، ينتهي إلى غياب الوعي بالذات والأغيار معاً، بل وزوال وفناء الوعي بكل معطيات الحس والفكر أو الاستجابة لدواعي الرغبات والشهوات، بالتأحد بالكلية في الحق الواحد المطلق في لغة الفلاسفة من الصوفية، أو الخالق في لغة متصوفة الأديان السماوية، فتختفي كل تفرقة بين الذات وموضوع إدراكها. وهذا هو المقام الذي سماه الإمام الغزالي بـ "الاستغراق الكلي في الله تعالى

"Total absorbtion of the empirical in the divine"، وسماه الإمام ابن تيمية بـ "الفناء الشهودي" تمييزاً له عن الفناء الوجودي، وعرف في التصوفات البوذية بـ "الاتحاد بالنفس الكلية"، عبر معراج روحي تطهري ذي مقامات ثمانية (Fattah, 1993).

والنرفانا في البوذية، شأنه شأن الفناء في التصوف الإسلامي، غاية يصبو إليها السالك البوذي بعد القيام بمجاهدة النفس مجاهدة شاقة طويلة. وهي حالة من التشيع الروحي، بالانصراف عن الدنيا كلها، إذا وصل إليها الإنسان، تتخلص النفس في أثنائها من الشعور والإحساس، ومن الرغبات والشهوات، ومن كافة الصفات البشرية، فتضمحل الكائنات في نظره حتى يصبح لا يشاهد فيها شيئاً. ولا شك أن فكرة النرفانا أي الفناء البوذي بهذا المعنى تشبه إلى حد كبير فكرة الفناء عند الصوفية.

#### أ) الطريق إلى النرفانا

النرفانا ليست إلا ثمرة المجاهدة الشاقة في قتل الشهوات والرغبات، وتحرير النفس من جميع القيود. ولتحقيق النرفانا التي هي الغاية القصوى في البوذية، يجب على

السالك البوذي القيام بممارسة الطريق ذي الشعب الثماني الذي يعرف باسم "الطريق الوسط" في البوذية. وهو الطريق العملي لإزالة سبب الألم والمعاناة، الذي يتمثل في الشهوات والرغبات الملحة في الملذات الدنيوية.

والسالك البوذي، في طريقه لتحقيق النرفانا، سيمر بمراحل ثلاث؛ ففي المرحلة الأولى، فإنه يتطلب من السالك الالتزام بالأخلاق البوذية. وتسمى هذه المرحلة بـ "سيلا" (Sila)، وتتضمن سلامة القول، وسلامة العمل، وسلامة الحياة. أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الرياضة النفسية المتمثلة في التأملات الذهنية وممارستها يومياً، وممارسة الأذكار أو التراتيل الدينية. وتسمى هذه المرحلة بـ "سمادي" (Samadhi)، وتشتمل على الأمور الثلاثة المتمثلة في سلامة الجهد، وسلامة الفكر، والتركيز الصحيح. أما المرحلة الثالثة والأخيرة، فهي مرحلة المعرفة، وتسمى بمرحلة "بانا" (Panna)، وتتضمن سلامة الفهم وسلامة الرأي.

ففي المرحلة الأولى، وهي مرحلة المبتدئة، للرهبان وغيرهم من العوام المدنيين، والتي تمس الجوانب الأخلاقية، فإنه يجب على السالك البوذي الذي يسلك الحياة الرهبانية الالتزام بالوصايا العشر، والمحافظة بدقة عليها، وهي: الابتعاد عن القتل، والابتعاد عن الزنا، والابتعاد عن السرقة، والابتعاد عن الكذب، والابتعاد عن شرب الخمر، والامتناع عن الطعام بعد الزوال، والابتعاد عن الغناء والرقص، والابتعاد عن الزينة بجميع أنواعها، والامتناع عن اتخاذ الفراش عند النوم، والمقعد المرتفع المحشو بالقطن عند الجلوس، والامتناع عن قبول الهدايا من الذهب والفضة.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة المجاهدة النفسية أو الرياضة الروحية، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولهما: المجاهدة في مخالفة الهوى، ومحاربة النفس والشهوات، وإنكار الذات. ويقوم السالك البوذي بممارسة هذا النوع من الرياضة مستهدفاً إضعاف الجسم، وتقوية الروح، وترويض الغرائز. وفي هذه المرحلة، فإنه يتطلب من السالك الالتزام بالآداب والنظم الرهبانية التي

يبلغ عددها 220 نظاما. ومن الشروط، والآداب، والنظم الخاصة بالرهبان، التي يجب على السالك أن يحافظ عليها، ما يلي:  
أولا: إظهار الفقر، والتجرد التام عن الملكية.  
ثانيا: لبس اللباس الأصفر، فلا يرتدي رداء آخر غير هذا اللباس طيلة مدة رهبانيته؛ لأن هذا اللباس رمز للزهد، والفقر، والمهانة.  
ثالثا: حلق الرأس؛ وكل الشعور في الوجه كالحاجبين، والشارب واللحية، وما شاكل ذلك.  
رابعا: الحفاء، ويعني المشي بلا خف ولا نعل، فيمشي السالك حافيا بدون حذاء.

خامسا: العيش على التسول، وترك العمل؛ فلا يصلح للرهبان القيام بالعمل والاكتساب، إذ إن من شروط الرهبانية الفقر، والقناعة والرضا بما حصلوا عليه من صدقات المدنيين العوام. وإن الكسب والعمل - كما يعتقد الرهبان البوذيون - أداة من أدوات المهوم المؤدية إلى التملك، وهو سبب يمنع السالك من الوصول إلى الكمال والسعادة. فيخرج السالك من الأديرة كل صباح، حاملا "الكشولة" (Arm Bowl)، يتجول من بيت إلى بيت ليجمع القوت اليومي.

سادسا: الصوم الدائم، أو الاقتصار في اليوم والليلة على قوت واحد، وتناوله قبل الزوال.  
سابعا: الصمت الدائم، فعلى السالك دوام السكوت، وعفة اللسان، وعدم المزاح والهزل، والصمت عند البوذية وسيلة للتغلب على الخواطر، وأفضل رفيق لمن يسير إلى النرفانا. فلا يتكلم السائر في هذا السير إلا عند الضرورة. ثامنا: التبتل، وهو الانقطاع عن الزواج لأنه من ملذات الدنيا الدنيئة، التي تشغلهم عن ممارسة الرياضة الروحية ومجاهدة النفس، وتمنعهم من تحقيق الفناء أو النرفانا. ومن المعروف إن هذه الممارسة شيء ضروري في الحياة الرهبانية، سواء كان ذلك في البوذية أو النصرانية.

تاسعا: السكن في الدير والخضوع لرئيس المعبد، والاعتراف بما ارتكبه من الخطايا، أو ما يخالف النظم الرهبانية. يلزم على السالك سكن الدير، فلا يجوز له سكن المنازل، ولا المبيت فيها. كما يجب عليه الخضوع التام لأوامر "شيخ المعبد"، لكونه مرشدا له، وهو الذي

أرشده إلى الطريق للحصول على السعادة والقداسة، ويساعده على الترقى في المراحل والأحوال. ويعد الخضوع للشيخ مبدأ أساسيا في النظم الرهبانية البوذية، بل إنه ظاهرة من الظواهر المشتركة في التصوفات العالمية في الأديان المختلفة، والتصوف الإسلامي لا يستثنى منه. ويجب على السالك أيضا أن يعترف أمام الشيخ بما ارتكبه من مخالفة الشروط، والآداب، والنظم الخاصة بالرهبان المسماة بـ "Abat".

### عاشرا: الانفراد، والخلوة والعزلة، والانقطاع عن الناس أو عدم مخالطتهم.

حادي عشر: الالتزام بمبدأ "Ahinsa" أي عدم الإساءة، وإيذاء الآخرين، واحترام كل كائن حي، بل يجب على السالك إظهار المحبة والشفقة لجميع الكائنات، سواء كانت من الإنسان أو الحيوان أو النبات.

ثاني عشر: تعليم الناس السلام، والمحبة، والجد في منع الحروب، والتسامح تجاه الأديان في العالم كله، بعدها أوجها ناقصة لحقيقة واحدة. فقد أثنى باحثون كثيرون على هذا الموقف المنفتح للبوذية نحو الأديان الأخرى، ومنهم على سبيل المثال الأستاذ الدكتور أحمد شليبي حيث عدّ هذا الموقف - أي التسامح نحو جميع الأديان - ميزة عظيمة تنسب للبوذية. (Syalabi, 1997) ويرى بعض الباحثين أن التسامح نحو الأديان الأخرى لدى البوذية يقترب إلى حد ما بما ذهب إليه مذهب ابن عربي في التصوف، من فكرة وحدة الأديان، وهي فكرة ناتجة عن فكرة وحدة الوجود، بحيث لا يميز بين الأديان كلها، إذ إن الله عام للجميع، وأن كل معبود من المعبودات وجه من وجوه الله الحق، فأصبح عندهم الإيمان بكل المعبودات عقيدة صحيحة - سبحانه وتعالى عما يصفون -، حيث تعد هذه الفكرة سموا عن التعصب الديني، وسموا في التسامح والمحبة. والمحبة عند الصوفية أساس الأديان جميعها (Nicholson, 1951).

ثالث عشر: قراءة الأذكار والتراتيل الدينية جماعة. يجتمع جماعة الكهنة كل يوم صباحا ومساء لقرأة الأذكار والتراتيل الدينية أمام تماثيل بوذا في المعابد البوذية. وفي

هذا الاجتماع يردد الرهبان التراتيل بصوت واحد، بأن يبدأ رئيسهم، ثم ينطقون بها وراءه، ويرفعون أصواتهم، ويتميلون يمينا وشمالا (Numsuk, 1999). ومن الأذكار والتراتيل الدينية التي يقرأها الرهبان وكذلك البوذيون المدنيون الجواهر الثلاث ”Triple Gem“؛ وهي البوذا والدماء والسنجا (Buddha-DhammaSangga). وغالبا ما يقرر البوذي هذا الإقرار قبل الانتماء للديانة البوذية، ثم أصبحت العبادة اليومية لكل البوذيين. ويعلن البوذيون هذا الإقرار بعد المبايعة للبوذا وعبادة تمثاله. ولفظ هذه الأذكار كما يلي:

أعوذ ببوذا بإيمان Buddham Saranam Gacchami  
أعوذ بالدماء بإيمان Dhammam Sara Gacchami  
أعوذ بالسنجا الرهبانية بإيمان Sangham Saranam Gacchami

ويذكر الرهبان والبوذيون هذه الأذكار كل يوم صباحا ومساءً ويكررونها ثلاث مرات، كما يذكرون فيها أولا: فضائل البوذا التسع؛ وهي: ”هو قديس وسام. يجلب لنا بوذا الثقافة والحكمة والخلاص. هو المغبوط الذي يعرف شرائع الكائنات، هو سيد العالم الذي يصنع الكائنات تحت النير كثيران هو معلم الآلهة والناس. هو البوذا الجليل. أعوذ ببوذا بإيمان“، وثانيا: خصائص الدماء الست؛ وهي: ”أعوذ بالدماء بإيمان. بشيء المجد بالدماء بشكل جيد وكشف الدماء بوضوح تام. الدماء هو فوق الزمان والمكان ليس الدماء هو السمع والقول. لأنه يقول: تعالوا وانظروا، الدماء يقود إلى النعمة والهناء، الدماء مقبول من الحكماء في قلوبهم، أعوذ بالدماء بإيمان“، وثالثا وأخيرا: مواصفات السنجا التسع؛ وهي: ”أعوذ بالرهبانية بإيمان، رهبانية بوذا تعلمنا السير في حياة الفضيلة، ورهبانية بوذا تعلمنا الصدق والأمانة والإخلاص والحشمة واللطف والشرف والأنس والأدب والعزة والإكرام والحق. رهبانية تلاميذ بوذا تبين لنا كيفية ممارسة الحقيقة. رهبانية تلاميذ بوذا تؤلف أخوية الرفق والطيبة والجودة والحلم والتساهل ومحبة القريب والإحسان قد يسبق رهبانية تلاميذ بوذا هم أهل للتكريم والتوقير والاحترام. رهبانية تلاميذ بوذا

مؤسسة ومشادة، كإخوية مؤسسة يرتبط فيها الناس جميعا ليعلموا قواعد الاستقامة وعمل الخير، أعوذ بالرهبانية بإيمان“.

وبعد أن يذكروا كل هذه الأشياء فعليهم أن يعلنوا إيمانهم وثقتهم بالجواهر الثلاث ويسألون منها الرضا والعفو؛ أستعذ بالبوذا من كل الشرائر وأستعين به في كل أمور الحياة وأنا أعبد وأسجد لكل البوذاوات في الماضي والحاضر والمستقبل دائما أبدا لا مستعانا إلا البوذا وأستعين به في كل الأمور. ومن أجل ذلك ساعدني في نيل النرفانا. ويكرر الرهبان والبوذيون هذا التذمر - واستبدال كلمة البوذا بكلمتين الدماء والسنجا - لاحترامهما.

والثاني: المجاهدة في الرياضة النفسية، ومواصلة تمرينها، المتمثلة في ممارسة التأملات الذهنية أو ما يسمى عندهم samadhi upasana باللغة البالية. وكلمة ”سمادي“ (samadhi) تعني سكون النفس أو الاستغراق ”concentration“، وكلمة أوباسانا (upasana) تعني التأمل والمراقبة ”meditation“. وبممارسة هذا التأمل الذاتي، يمكن للسالك الوصول إلى آخر مرحلة من مراحل الطريق، وتحقيق هدفه الأسمى للعمل الرياضي (samadhi)، وهو ليس سوى الفناء، أو الفراغ، أو ما يسمى عند البوذيين بـ ”النرفانا“.

وقد بين بوذا جوتاما أهمية تنمية هذا التركيز الذهني؛ وذلك لأن الذي يركز ذهنه وتفكيره جيدا يتمكن من إدراك الأشياء كما هي في حقيقتها. ويقول الكاهن ناجا سينا ”Nagasina“ مبينا أهمية هذا التركيز الذهني، قائلا: ”إنه مثلما يزيل نور المصباح ظلام الحجر إذا أتينا به تزيل قوة البصيرة عند ظهورها ظلام الجهل وتنتج نور المعرفة. (Nyanatiloka, 1998) وعندما يستقر التبصر ويدرك السالك حقيقة الأشياء، أي الدنيا وما فيها بحقيقتها الزائلة، تنتفي الصفات الدميمة مثل الطمع والجشع والجهل، فتحرر السالك من هذه الصفات السلبية، وهو ما اصطلاح عليه صوفية الإسلام بالفناء الأخلاقي أي فناء الأخلاق المذمومة ببقاء الأخلاق المحمودة. ثم تحققت به الطمأنينة الجوانية المطلقة بحيث يتخلص من تعلقات الدنيا، ويكون وصوله إلى مراده، وهو الخلاص أو النرفانا، أمرا محتما. (Perera, 1987)

ولممارسة "Samadhi" في التعاليم البوذية طرق شتى، والطريقة المشهورة عند البوذيين في ممارستها، هي طريقة مراقبة الأنفاس. وتقسم عملية التنفس إلى أربع مراحل، وهي الشهيق، والاحتفاظ، والزفير، والامتناع. ولكل مرحلة من هذه المراحل الأربع وظيفتها المحمودة. وأما الكيفية في أدائها فيمكن تقسيمها إلى سبع مراحل، حيث يشترط على المرید عدم الانتقال من مرحلة إلى مرحلة إلا بعد أن يكون متمكنا من الثبات والتركيز عليها، وهي كما يلي:

أولاً: أن يغمض السالك عينيه، ويبدأ بمراقبة أنفاسه من الشهيق والزفير.

ثانياً: يقوم السالك بتركيز تأمله على الشهيق والزفير من حيث طولهما وقصرهما.

ثالثاً: أن يركز السالك تأمله عليهما أي الشهيق والزفير، من حيث ثقلهما، وخفتهما، وغلظتهما، ودقتهما.

رابعاً: أن يميز السالك بين الاسم والصورة؛ المراد بالاسم: الشعور النفسية، وبالصورة: النفس، ثم يركز تأمله عليهما.

خامساً: يقوم السالك بتركيز تأمله على الشهيق والزفير من حيث حدوثهما، وصيرورتهم، واضمحلالها.

سادساً: يحول السالك تأمله في حدوث النفس إلى التأمل في حدوث الجسم وتغيره، ثم في حدوث الكائنات حوله وتغيره، وعدم حقيقتها.

سابعاً: يصل تركيز السالك في التأمل إلى مرحلة الفناء، أي فناء الكائنات كلها، وعدم جوهرها. (Numsuk, 1999).

وهذه الرياضة الروحية لا يمارسها السالك إلا في الخلوة، وعلى شكل منظم، وتحت إشراف المرشد الخبير. ويجب على السالك المتأمل أن يكون مستغرقاً في التأمل حتى يتمكن من الشيء الذي يتأمل فيه ويركز عليه ومن ثم يقدر أن يتأمل ويركز الذهن على الشيء الذي كان يتأمل فيه مغمضاً عينيه لأن صورة الشيء تكون منطبعة في ذاكرة المتأمل انطباعاً كلياً لا تذبذب فيها (Abd al-Muttalib, 1990). وممارسة هذه الرياضات الروحية وتمارينها -حسب الفكر البوذي- فإنها تضغط النفس، وتقتل الشهوات والرغبات الملحة، كما أنها

تطفيء جمرات الآلام والمعاناة كلها، فتثمر منها السكينة، والهدوء، والسعادة.

والمرحلة الثالثة: هي مرحلة المعرفة، أو ما يسمى بـ "Panna" باللغة البالية. فهي ثمرة للمرحلتين السابقتين. فمن وصل إلى هذه المرحلة، فقد تحققت به الغاية، وهي النرفانا. وهذه تقترب من حال الكشف عند الصوفية. ففي هذه الحالة، يتنور عقل صاحبها، وتنكشف له المعرفة، فيدرك حقيقة كل الأشياء كما هي في حقيقتها. وبهذا، تنكشف للسالك المعرفة "Panna"، وهي كثيرة، ومنها: المعرفة بالأمور الماضية والمستقبلية، والمعرفة بالحقائق الأربع النبيلة، والمعرفة بالعوالم العلوية والسفلية، والمعرفة الخاصة بسلسلة الحياة السابقة. وإن هذه المعرفة لا يدركها عن طريق الاكتساب، وإنما يدركها عن طريق الكشف والذوق، فهي إذن معرفة خاصة، ومعرفة فردية، ونشاط روحي خاص لكل سالك بوذي.

## ب) الطريق إلى الفناء

الطريق إلى الفناء عند الصوفية، عملية تطهيرية شاقة، تتألف من مراحل ثلاث، أولها: الالتزام بمبادئ الإسلام أو تعاليم الديانة الإسلامية أو ما يسمى بـ "الشرعية". وثانيها: يسمى بـ "الطريقة إلى الحقيقة"، ويكون انتماء السالك إلى هذه المرحلة بعد القيام بتطبيق الشريعة الإسلامية بكاملها. أما المرحلة الثالثة والأخيرة: هي ما سماه الصوفية بـ "الحقيقة" أو المعرفة وهي آخر مراحل الطريق؛ وهذه المراحل الثلاث؛ الشرعية، والطريقة، والحقيقة؛ لها علاقة بالمبادئ الإسلامية الثلاثة التي تسمى بـ: الإسلام، والإيمان، والإحسان، حيث إن "الإسلام" يعبر عن معنى الخضوع التام واستسلام المرید لإرادة الله تعالى كما يفسره القرآن والسنة النبوية. وأما "الإيمان" فإنه يدل على قيام المرید بتحقيق معانيه. ثم تأتي المرحلة الثالثة، وهي ثمرة المرحلتين السابقتين، حيث ينال السالك الهدوء والسكينة، ويصل إلى مقام اليقين، وتسمى بـ "الإحسان"، وعندما يصل السالك إلى هذا المقام، فقد تقدم إلى الأمام، وتحقق به معاني التوحيد، وبدأ يعبد الله "كأنه يراه"، ويشعر بمعية الله ومراقبته، بأنه أي الله- ينظر

إليه، ويشاهده ويراقب أفعاله. فمن وصل إلى هذا المقام فقد حقق الهدف الأسمى في هذا السير، وهو تحقيق الفناء في الله. وهذه المراحل الثلاث وهي الشريعة، والطريقة، والحقيقة-تشابه مع المراحل الثلاث في المنهج البوذي، وهي Sila-Samadhi-Panna في تحقيق النرفانا، وذات شبه كذلك بالتصوف المسيحي المسمى بـ “via purgativa, via illuminativa, and unio mystica” (Schimmel, 1975).

والطريق إلى الحقيقة أو الفناء عند الصوفية مكون من جماع التربية الخلقية والزهدية للصوفي، الذي يسمى بالمقامات السبع، وهي تتمثل في التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا. وتشبه هذه المقامات درجات السلم، يترقى بها السالك درجة درجة. وكل واحدة منها - ماعدا الأولى-نتيجة للسابقة عليها (Nicholson, 1951).

وبعدما تتحقق للسالك هذه المقامات السبع في سفره إلى الحق، بجهوده الشخصية، يصبح نقي القلب، ويكون مستعدا لتلقي المعارف من الله إذا كان رافق هذه المقامات جملة من الأحوال التي تؤلف سلسلة نفسية ماثلة. وهي موهوبة من الله، وغير مكتسبة عن طريق المجاهدات، والعبادات والرياضات كالمقامات، بل هي نازلة تنزل من لدن الله إلى القلب، فلا تدوم. فلا يقدر السالك لها دفعا، ولا يستطيع الاحتفاظ بها فوق ما أراده الله. وتمثل هذه الأحوال في المراقبة، والقرب، والمحبة، والجوع، والرجاء، والشوق، والأنس، والطمأنينة، والمشاهدة، واليقين.

لكن، مما يجدر بالذكر هنا، للوصول إلى الغاية أو لتحقيق الفناء، فلا بد للسالك من مجاهدة النفس والالتزام بالآداب والنظم الصوفية والشروط الخاصة في رياضة النفس ومجاهدتها. وأول ما ينبغي للسالك المريد قبل الانتماء إلى الطريق اتخاذ شيخ مرشد يرشده ويؤدبه، ويأخذ منه عهد الطاعة إذا تم استعدادده. كما ينبغي للمريد السالك أن يقضي مدة معينة في خدمة الشيخ قبل أن يؤذن له بالعهد. وعادة يخضع المريد لشيخه مدة ثلاث سنوات للرياضة والمجاهدة؛ فالسنة الأولى يخص بها خدمة القوم،

والثانية في خدمة الله، والثالثة مقصورة على مراقبة قلبه. ولا يقوم بواجبه نحو القوم إلا إذا وضع نفسه في مقام الخدم، ووضعهم في مقام السادة، فيؤثرهم جميعا على نفسه، ويعدهم خيرا منه، ويعد من واجباته خدمتهم على السواء. ولا يكون في خدمة الله إلا بتخلية نفسه عن جميع مآربه الذاتية، أو التجرد من كل رغبة تتصل بالدنيا أو بالآخرة، والقيام بعبادة الله لذاته فحسب. ولا يراقب قلبه حتى يجمع فكره، ويصرف عنه كل هم، ويترك كل ما يشغل باله حتى لا تتطرق الغفلة إلى قلبه في حال مناجاته الله. فإذا توفرت هذه الشروط الثلاثة، يتهيأ له الدخول في الطريقة، ويسلم له بلبس المرقعة على وجه التحقيق لا التقاليد. (Al-Hujwiri, 1974)

يبدأ الطريق الصوفي بالتوبة. وبها يبدأ السالك حياة جديدة حيث يأخذ نفسه بمجموعة من القيم، والآداب والأعمال التي تفرق بين حياته الجديدة، وتلك الحياة التي كان يعيش في ظلها قبل أن يسلك الطريق. ومن الشروط التي يجب على السالك الالتزام بها في رحلته الروحية للوصول إلى الحقيقة، هي: الصدق في الإرادة، والتسبب في الطاعة، والمعرفة بحال النفس، ومجالسة عالم بالله، والتوبة النصوح، والأطعمة الحلال التي لا يدمها العلم، واتخاذ القرين الصالح.

فضلا عن ذلك، هناك شروط أخرى ينبغي للسالك ممارستها لتحقيق غايته الأسمى في سيره إلى الله. وتعد هذه الشروط أركاناً لمجاهدة النفس، وأساس بنيان المريد، وهي تتمثل في الجوع، والسهر، والصمت، والخلوة، والذكر، والسمع. وفي ذلك، يقول السهروردي: ” وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، والاعتزال عن الناس“. (Al-Suhrawardi, 1873)

ويجدر بالذكر هنا، أن المقامات (spiritual stations) والأحوال النفسية المقترنة بها (psychological state) تشكلان بنية ”الطريق الصوفي“ في التصوفات العالمية: or “transformation-The mystical path of self” inner path to the Divine” والطريق عند السالكين

السواء، فإن المسلمين أخذوا استعمال السبحة، وعادة حبس الأنفاس عن رهبان البوذيين، الذين كان لهم الأثر الأكبر في تشكيل الحياة الصوفية وما وصلت إليه من تطور في ذلك العصر“ (Nicholson, 1951).

ونحن لا ننكر وجود وجوه للمشابهة والمشاكلة بين البوذية وأصلها الهندوسي وبين ما عرف في التصوف الإسلامي بـ“المقامات والأحوال“، إلا أن وجوه التماثل العارضة تلك لا ينبغي أن يقودنا إلى القول بتأثر صوفية الإسلام بالبوذية أو غيرها من المرجعيات التاريخية.

### الخاتمة

وفي الختام، لو تأملنا القواعد والنظم وآداب السلوك، فضلا عن أساليب الرياضة النفسية ومجاهدتها، التي يمارسها الرهبان البوذيون لتحقيق الخلاص أو النرفانا، وكذلك الصوفية في التصفية النفسية لتحقيق الفناء، لوجدنا ثمة نقاط اختلاف، ووجوه تشابه بينهما، بل وهي -أي هذه التشابهات- أصبحت من المظاهر المشتركة في التصوفات العالمية لدى جميع الأديان؛ ومنها: التجرد من شهوة البطن والفرج، والتخلص من جميع الشهوات ومن ضرورات الحياة، فضلا عن الصمت، والجوع، والسهر، والخلوة، ومداومة الذكر والمراقبة، وكذلك قواعد السلوك في مسلك الحياة الروحية التي تتمثل في اتخاذ الشيخ، ولبس الخرق، وملازمة الرباط. ولكن ينبغي أن ننوه هنا على أنه مع وجود وجوه للتشابه بين بعض تعاليم البوذية وصوفية الإسلام، فإن هذه المشابهة لا ينبغي أن تُفهم على أنها تعني التماهي والمطابقة؛ ذلك لأن لكل واحد من النظامين مرجعية خاصة به يتأصل فيها ويصدر عنها؛ ومن ثم فمع الإشارة إلى أوجه التشابه والتطابق، يجب الإشارة باستمرار إلى وجوه التعارض والاختلاف بينهما.

### References ( المراجع )

- Abd al-Muttalib, A. (1990). Madrasah Hinayana al-BudhiyyatwaMauqig al-Islam minha. Ph.D thesis submitted to Al-Azhar University. Cairo, Egypt.

Al-Hujwiri, A. U. (1974). *Kashf al-Ma'jĕb*, Egypt.

Al-Suhrawardi. (1942). *Awarif a;-Ma'arif*.  
Arberry, A. J. *An Introduction to History of Sufism*. Oxford University Press, London, United Kingdom.

Al-Sarraj, A. A. (1986). *Kitab al-Luma' Fi al-Tasawwuf*, Islamabad. Idarah Tahqiqat Islami, Islamabad, Pakistan.

Fattah, I. A. A. H. (1993). *Nashat al-Falsafah al-Sufiyyahwa Tatawwaruha*. Dar al-Jil, Beirut, Lebanon.

Goldzehir, I. (1959). *Al-Aqidah wa al-Syari'ah fi al-Islam*. Maktabah al-Muthna, Cairo, Egypt.

Nicholson, R. A. (1951). *Al-Sufiyyah Fi Al-Islam*. Matba'ah Lajnah al-Ta'lifwa al-Turjumah Wa al-Nashr, Cairo, Egypt.

Nyanatiloka. (1998). *Buddhist Dictionary: Manual of Buddhist Term and Doctrine*, Buddhist Missionary Society, Kuala Lumpur, Malaysia.

Numsuk, A. M. (1999). *Al-Budhiyyah: Tarikuhawa 'Aqaiduhawa 'Alaqah al-SufiyyahBiha* (MaktabahAdhwa' al-Salaf, Riyadh, Saudi Arabia.

Perera. A. (1987). *Live Now: Buddhist Essays*. Buddhist Publication Society, Kandy Lake, Sri Lanka.

Schimmel. A. (1975). *Mystical Dimension of Islam*. The University of North Carolina Press, Chapel Hill, USA.

Syalabi, A. (1997). *Muqaranat al-Adyan: Adyan al-Hind al-Kubra*. Maktab al-Nahdhah al-Misriyyah, Cairo, Egypt.